**الأنافورا والليتورجيا (القداس الإلهى)**

**بقلم الأنبا بيشوى**

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

*"كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟*

*الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ*" (1كو 10: 16)

يرد ذكر العشاء الأخير فى الثلاث أناجيل الإزائية فى (مر 14: 22-25، مت 26: 26-29، لو 22: 13-20). أما الإنجيل بحسب القديس يوحنا فلم يكرر نفس التفاصيل لكنه ذكر كلمات الرب التى شرحت تأثير ومفاعيل الأكل من جسد الرب والشرب من دمه (يو 6: 50-56). أما الرسالة الأولى لأهل كورنثوس (1كو 11: 23-27) وسفر الأعمال يبين كيف كان المسحيين الأول يحتفلون بما أسماه القديس بولس الرسول عشاء الرب وما يسمى فى سفر الأعمال "كسر الخبز" (أع 2: 42) أو الخدمة Λειτουργούντων (انظر أع 13: 2).

هذا السر قديم بقدم الكنيسة نفسها، لأنه ليست هناك كنيسة بدون إفخارستيا، حيث يتحول الخبز والخمر بفعل الروح القدس إلى جسد حقيقى ودم حقيقى، يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه.

هذه مفاهيم مشتركة بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية. فكنائسنا تؤمن أن الإفخارستيا سر إلهى عظيم وتعتبره أحد أسرار الكنيسة السبعة.

**الأنافورا**

كلمة "أنافورا" هى يونانية الأصل ἀναφoρaدخلت إلى العربية. وهى من الفعل اليونانى ἀναφe,ρw (fe,rw +avna,) "يرفع أو يقدم". وعندما تُرجم العهد القديم إلى اليونانية استخدمت الترجمة السبعينية الفعل ومشتقاته بالإشارة إلى ذبائح العهد القديم [انظر لاويين ومز 51: 19]. وفى العهد الجديد استخدم الفعل ἀναφe,ρw "يرفع أو يقدم" مع مشتقاته فى كل صلوات الكنيسة المسيحية منذ عصر الرسل بالكلام عن تقدمة المسيح على الصليب ومثال لذلك ما جاء بالعبرانيين عن المسيح "...ليس له إضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح" (عب 7: 27)... ولهذا السبب دخلت هذه الكلمة فى الصلوات الخاصة بالإفخارستيا... وقد استخدمت الكلمة فى قوانين الرسول (الكتاب الثانى فصل 50: 4، والكتاب الثامن قصل 47: 3). [[1]](#footnote-1)

**أنافورا القداس القبطى تتكون من:**

1- **التأسيس**: تبدأ بقول الكاهن: "**ووضع لنا** هذا السر العظيم الذى للتوقى. لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم، أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين ونظر على فوق نحو السماء إليك يا الله أباه وسيد كل أحد. وشكر، وبارك، وقدس، وكسر وأعطاها أيضاً لخواصه التلاميذه القديسين ورسله الأطهار المكرمين قائلاً "خذوا كلوا هذا هو جسدى..، هكذا الكأس أيضاً بعد العشاء مزجها من خمر وماء... إلخ.

2- **التذكار**: (الكلمة اليونانية ἀνάμνησις أنامنسيس وتعنى ذكرى أو ذبيحة تذكارية)[[2]](#footnote-2) يقول الكاهن "لأنه فى كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى و**تذكرونى** **إلى أن أجى**"... "لأنه فيما نحن **نصنع ذكرى** آلامه المقدسة وقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وظهوره الثانى الآتى من السموات المخوف المملوء مجداً نقرب لك قرابينك من الذى لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال.

3- **الاستدعاء**: (باليونانية ἐπίκλησις بمعنى "استدعاء" أو "دعوة للنزول من العلاء") وهو جزء من الأنافورا (صلوات الإفخارستيا) فيه يستدعى الكاهن الروح القدس (أو قوة مباركته) على الخبز الخمر الإفخارستى:[[3]](#footnote-3)

"الإبكليسيس (الإستدعاء) فى اللاهوت المسيحى يشير.. بالأخص إلى **استدعاء الروح القدس المهيب فى أقدس جزء من الليتورجيا الإفخارستيا**، بعد كلمات التأسيس ("هذا هو جسدى") فتتقدس القرابين الإفخارستيا وتتحول. إن الاستدعاء هو سمة لأغلب الليتورجيات العريقة.. فى الشرق التقديس الليتورجى كان عموماً يعتبر أنه يتم بواسطة فعل خاص للروح القدس (على الرغم من أن أعمال الله هى من الثالوث الواحد غير المنقسم)، ووفقاً لتعليم غريغوريوس النيصى (*Catechetical Oration* 96-97) ويوحنا ذهبى الفم (*(Homily 1 On Judas’ Betrayal,* *par.* *60* أن هذا لا يتم إلا بعد صلوات الاستدعاء. **إلى هذا اليوم، فى الطقس الأرثوذكسى، لا يتم هذا إلا فى اللحظة التى يسجد فيها الكاهن والشعب أمام السر**." [[4]](#footnote-4)

يقول الشماس: "اسجدوا لله بخوف ورعدة"، فيسجد الجميع. بينما ينحنون بأيدى مرفوعة، يقول الكاهن صلاة حلول الروح القدس (الاستدعاء) سراً: "نسألك أيها الرب إلهنا نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين نسجد لك بمسرة صلاحك **ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك."**

يرفع الجميع رؤسهم، ويرشم الكاهن ثلاث رشومات بيده على القربان ويقول بصوت: **"هذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له... وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذى له".**

**النقل أو التحول**

**يقول القديس إيرينيئوس (180م):**

**"ثم، حينما نكمل القربان، نستدعى الروح القدس، حتى يظهر هذه الذبيحة، الخبز (جسد المسيح) والكأس (دم المسيح)."** [[5]](#footnote-5)

نحن نؤمن أنه بعد تقديس الخمز والخمر يتحولا إلى جسد حقيقى ودم حقيقى لربنا تحت أعراض (شكل خارجى) الخبز والخمر. بالطبع لا يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم (مكون من كرات دم وبلازما إلخ)، لكنهما يظلا خبزاً وخمراً.

"إن الإيمان "بحضور حقيقى" للمسيح الحى فى الإفخارستيا مشترك فى الشرق والغرب وهو قديم جداً. بأى طريقة يمكن شرح هذا "الحضور الحقيقى"؟ هو واضح، وجلى، أنه بكل الطريقة البينة يظل الخبز خبزاً، والخمر خمراً، ومع ذلك هما الآن فى الحقيقة جسد المسيح ودمه." [[6]](#footnote-6)

فى القداس الباسيلى القبطى يقول الكاهن فى صلاة حلول الروح القدس (الإبيكليسيس) سراً بينما يشير إلى نفسه وإلى القربان الحاضر أمامه: "نسألك أيها الرب إلهنا نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين نسجد لك بمسرة صلاحك **ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك".**

بينما حل الروح القدس على السيدة العذراء مريم، وكرَّس رحمها (كما تتقدس أوانى المذبح)، وطهرها، وقدسها، هكذا بنفس الطريقة يحل على الخبز والخمر ليقدسهما ويحولهما. وكما اتحد كلمة الله بالطبيعة البشرية فى بطن القديسة العذراء مريم، هكذا بنفس الطريقة يتحد بالخبز والخمر. هذا يعتبر إمتداداً لتجسده وليس تكراراً لهذا التجسد. بينما هو دور الروح القدس أن يحوِّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه.

**يقول القديس إيرينيئوس:**

"**الخبز والخمر بقبول كلمة الله، يصيرا إفخارستيا، التى هى جسد المسيح ودمه**."[[7]](#footnote-7)

نحن نؤمن أننا فى الإفخارستيا نتناول نفس جسد المسيح الذى ولد فى بيت لحم، والذى اعتمد فى الأردن، وصلب، وقبر، وقام، وصعد، ويجلس عن يمين الله الآب، وسوف يأتى ثانية فى اليوم الأخير.

إن خبز الإفخارستيا هو إمتداد للتجسد الإلهى وليس تكراراً له. هو يأخذ نفس مسار الخبز الذى كان يأكله يسوع المسيح لينمو جسده متحداً باللاهوت. لقد إتحدت الطبيعة البشرية بالطبيعة الإلهية فى لحظة التجسد وهذا لم يتكرر أبداً.

لقد خبزت السيدة العذراء خبزاً للمسيح وهو طفل لكى يتغذى وينمو. وقد نمى لكننا لا نعتبر أبداً أن الخبز الذى كان يأكله -وأضاف إلى وزنه- أن ذلك تجسد ثانى، وإنما مجرد إمتداد للتجسد. نفس الأمر ينطبق على الخبز والخمر فى الإفخارستيا فى لحظة حلول الروح القدس على القرابين.

**يقول القديس إيرينيئوس:**

"لأن الخبز الذى تنتجه الأرض حينما ينال حلول الله، لا يستمر خبزاً عادياً، إنما **إفخارستيا تتكون من حقيقتين، أرضية وسماوية.**" [[8]](#footnote-8)

**وعن الاتحاد بين الكلمة وجسده كتب القديس كيرلس عامود الدين قائلاً:**

"ونحن لا نقول إن الله الكلمة الذى من الآب، قد تحول إلى طبيعة الجسد، أو أن الجسد تحوّل إلى الكلمة (لأن كلا منهما يبقى على ما هو عليه بالطبيعة، ومسيح واحد من كليهما معاً). ولكن بطريقة لا يُنطق بها وتفوق الفهم البشرى، اتحد الكلمة بجسده الخاص... **لهذا فإن كل من يأكل من الجسد المقدس الذى للمسيح، "فله حياة ابدية": لأن الجسد له فى ذاته الكلمة الذى هو الحياة بالطبيعة.** لهذا يقول "وأنا اقيمه فى اليوم الأخير". وبدلاً من القول: جسدى سوف يقيمه، أى يقيم من يأكل هذا الجسد، قد وضع الضمير أنا فى عبارة "أنا أقيمه": لا كأنه هو آخر غير جسده الخاص، **لأنه بعد الاتحاد لا يمكنه أبداً أن ينقسم إلى إبنين**".[[9]](#footnote-9)

ليست هناك حقبة زمنية بين تكوين الطبيعة البشرية فى المسيح، وتقديسها واتحادها بالكلمة المتجسد. هكذا، فإن حلول الروح القدس على الخبز والخمر لتقديسهما وتحويلهما يتزامن مع حلول الكملة واتحاده بهما. يقوم الروح القدس بعمل فائق فى نقل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه فى نفس اللحظة التى فيها يتحد الله الكلمة بهما. فيصير الخبز جسده الخاص والخمر الممزوجة فى الكأس دمه الخاص.

**الفقرات التالية من أقوال الآباء الأولين توضح نظرة الكنيسة الأولى التى هى نفسها نظرتنا إلى يومنا هذا فيما يخص الإفخارستيا:**

**نظرة الكنيسة الأولى للإفخارستيا**

**تذكر الديداكية (80-140م):**

"أنت أعطيت طعام وشراب للإنسان للتمتع، لكى يقدم لك الشكر. **أما لنا نحن فقد أعطيت بتحرر طعاماً وشراباً روحيا وحياة أبدية..."**[[10]](#footnote-10)

**"**فى كل مرة فى يوم الرب، اجتمعوا معاً واكسروا الخبز، وقدموا الشكر **بعد الاعتراف بخطاياكم**، لكى تكون ذبيحتكم نقية. لكن لا تدعوا أحداً فى خلاف مع رفيقه يشترك معكم، **حتى يصطلح**، لكى لا تنتهك ذبيحتكم." [[11]](#footnote-11)

**يقول القديس أغناطيوس الأنطاكى (105م) وهو أحد الآباء الرسوليين:**

"أشتهى **خبز الله، الخبز السماوى، خبز الحياة، الذى هو جسد يسوع المسيح ابن الله**... وأشتهى شراب الله، أى دمه الذى هو الحب غير الفاسد والحياة الأبدية".[[12]](#footnote-12)

**يقول يوستين الشهيد (160م):**

"**نحن لا نتناول هذه كخبز عادى وشراب عادى، إنما يسوع المسيح مخلصنا بتجسده...** كان له جسد ودم من أجل خلاصنا. هكذا بالمثل، تعلَّمنا أن الطعام الذى يبارك بكلمته، والذى يغذى دمنا ولحمنا (بالتحول)، هو لحم ودم يسوع نفسه الذى تجسد."[[13]](#footnote-13)

"هذه النبوة تشير إلى الخبز الذى أعطانا المسيح لنأكل، **تذكاراً لتجسده** من أجل المؤمنين به، الذين تألم من أجلهم. وتشير إلى الكأس الذى أعطانا لنشرب، تذكاراً لدمه الخاص، مع تقديم الشكر." [[14]](#footnote-14)

**ويقول القديس إرينيئوس (180م):**

"إن رأينا هو فى توافق مع الإفخارستيا، وبالمقابل، فإن الإفخارستيا تؤسس رأينا. لأننا نقدّم له ما هو له، معلنين بتناسق التبعية والوحدة التى للجسد والروح. **لأن الخبز الذى تنتجه الأرض، حينما ينال استدعاء الله، لا يستمر جسداً عادياً بعد، إنما الإفخارستيا التى تتكون من حقيقتين: أرضية وسماوية.** هكذا أجسادنا أيضاً، حينما ننال الإفخارستيا، لا تظل فاسدة بل يكون لها رجاء القيامة للأبدية."

**ويقول أيضاً:**

"إن قربان الإفخارستيا ليس جسدانياً، بل روحانياً. ومن هذا المنطلق هو نقى. لأننا نعمل قرباناً لله من الخبز وكأس البركة، مقدمين له الشكر لأنه أمر الأرض أن تخرج هذه الثمار لغذائنا. ثم، حينما نكمل القربان، **نستدعى الروح القدس** ليُظهر هذه الذبيحة، الخبز (جسد المسيح) والكأس (دم المسيح) حتى أن من يقبل المرموز ينال غفران الخطايا والحياة الأبدية".[[15]](#footnote-15)

**ويقول القديس كبريانوس (250م):**

"يقول أن من يأكل جسده يحيا إلى الأبد. فمن الواضح أن أولئك الذين يتناولون جسده ينالون الإفخارستيا بحق الشركة هم أحياء. ومن ناحية أخرى، **يجب أن نخاف ونصلى لئلا يكون بيننا أحداً منفصلاً عن جسد المسيح –لإبتعاده عن التناول- فيبقى بعيداً عن الخلاص. لأنه هو نفسه حذّرنا بقوله "إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ**" (يو 6: 53). [[16]](#footnote-16)

**ويقول أيضاً**:

"**إننا نرى فى الكاهن ملكى صادق سر ذبيحة الرب متمثلة**.. لأنه يقول "لأن ملكى صادق ملك ساليم أخرج خبزاً وخمراً" (تك 14: 18). وملكى صادق هو كاهن الله العلى، وقد بارك إبراهيم. فالروح القدس يعلن فى المزمور أن ملكى صادق هو رمز للمسيح." [[17]](#footnote-17)

**كما يقول أيضاً**:

"يجب أن نتناول الإفخارستيا بخوف وإكرام. ففى سفر اللاويين يقول "وَأَمَّا النَّفْسُ الَّتِي تَأْكُلُ لَحْماً مِنْ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ الَّتِي لِلرَّبِّ وَنَجَاسَتُهَا عَلَيْهَا فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا" (لا 7: 20)، وفى رسالة كورنثوس الأولى يقول "أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ (1كو11: 27)". [[18]](#footnote-18)

**قصص قصها القديس كبريانوس تشرح كيف علَّم الآباء الشعب أن يكرموا ويوقروا ويهابوا الأسرار:**

"أعلموا ما حدث حينما كنت أنا نفسى حاضراً وشاهداً. تصادف أن أبوان كانا هاربان، ولكونهم قليلى الحرص وكنتيجة للرعب، تركوا إبنتهم الصغيرة تحت رعاية مربية. هذه المربية سلَّمت الطفلة المتروكة إلى الحكام. وفى حضور وثن حيث اجتمع حشد من الناس، (ولكونها لم تكن تستطيع أن تأكل لحماً لصغر سنها)، أعطوها خبزاً ممزوجاً بخمر، كان من بقايا ما استخدم فى القربان الخاص بالهالكين. بعد ذلك، استعادت الأم طفلتها، لكن الطفلة لم تكن قادرة على الكلام، أو التعريف بالجرم الذى أقترف، أكثر مما كانت حينما لم تكن قادرة على الفهم أو منع ما حدث. فحدث من غير قصد وبجهل، أن الأم أحضرتها معها ونحن نقدم ذبيحة، وكلما زاد اختلاط البنت بالقديسين زادت عصبيتها من صلواتنا وتضرعاتنا، وصارت ترتجف باكية، ثم تتقلب كأمواج البحر بهياج عقلها العنيف؛ وكانت روح الطفلة الغضة تعترف، كأنها مقهورة بواسطة معذِّب، إدراكها للحقيقة بإشارات حسبما كانت تستطيع. وحينما إنتهت الشعائر، بدأ الشماس فى تقديم الكأس للحاضرين، وحينما تناول الآخرين واقترب دور الطفلة الصغيرة، بغريزة الجلال الإلهى، حولت وجهها، وضغطت فمها بشفتين مقاومتين ورفضت الكأس. فظل الشماس مصمماً، ورغم مقاومتها دفع إليها جزء من الأسرار التى فى الكأس. فتبع ذلك تشنج وتقيؤ. لا تقدر الإفخارستيا أن تستمر فى جسد أو فم دنس؛ والرسم المقدس الذى لدم الرب يخرج من الأمعاء الملوثة."

"وإمرأة أخرى، حينما حاولت بأيدى غير مستحقة أن تفتح الصندوق، الذى كان به الجسد المقدس الذى لربنا، مُنعت بنار صعدت منه لأنها تجاسرت أن تلمسه. وحينما تجاسر أحد، كان هو نفسه دنساً، أن يتقدم مع الآخرين للتناول سراً من ذبيحة القداس الذى أقامه الكاهن، لم يقدر أن يأكل أو يمسك قدسات الرب، بل حينما فتح يده وجد بها جمراً." [[19]](#footnote-19)

**القداس الإلهى أو الليتورجيا المقدسة[[20]](#footnote-20)**

كلمة ليتورجيا Λειτουργία كلمة يونانية تتكون من مقطعين e;rgon + lei/toj، مقطع lei/toj = lao,j بمعنى "الشعب"، ومقطع e;rgon بمعنى "عمل"، والكلمة فى مجملها تعنى "عمل الشعب".. ولكن فى ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) استُخِدمَت الكلمة بمعنى دينى كمصطلح يدل على "خدمات الهيكل". أما فى العصر المسيحى الأول.. فدخلت الكلمة كمصطلح فى طقوس العبادة المسيحية. الليتورجيا الإلهية (Θεία Λειτουργία) هى خدمة إفخارستيا (تقديم شكر).

فى الليتورجيا المقدسة يتميز جزئين واضحين: الجزء الأول يحتوى على الإبصلمودية، والقراءات، والعظة، والطلبات (الأواشى)، وهو الجزء التعليمى فى الليتوجيا والذى يعرف بـ"ليتورجية الكلمة" أو بالسناكس su,naxij (فى القديم كان يسمى قداس الموعوظين). والجزء الثانى يحتوى صلوات إتمام سر الإفخارستيا المقدس ويشمل تقديم القرابين، والأنافورا، والتقديس، والذبتيخا، والتناول، والتحاليل، والذى يعرف بـ "ـليتورجية السر" أو "الإفخارستيا" (فى القديم كان يسمى قداس المؤمنين).

كبداية لها كان عشاء الرب السرى، الذى بواسطته تمم ترتيب الفصح اليهودى [بعد خروج يهوذا أنظر يو 13: 31].. هذا السر تسلّمه الرسل "من الرب" وتمارسه الكنيسة المقدسة كتذكار للرب "إلى أن يجيئ" (لو22: 19 + 1كو 11: 24-26). إن الرب بحسب العشاء السرى رفع صلاة كرئيس الكهنة (يو 17: 1-26) وعلَّم تلاميذه أن يصلوا (يو 14: 13 و 16: 23 + لو 6: 12 + متى 6: 5-9 + لو 11: 2-4)، وهو أيضاً وتلاميذه "سبحوا" (مت 26: 30) أى رتلوا إذن من مزامير الفصح اليهودى.

بقاعدة هذا المثال (النموذج) للعشاء السرى [صلاة – الإبصلمودية – تعاليم – إتمام الإفخارستيا – الشركة (التناول)] إلى جانب نظام إجتماع السيناكس للمجمع اليهودى الذى ورثته الكنيس، إسرائيل الجديد، تكوَّن وتشكَّل فى العصر الرسولى وما بعده التقليد غير المكتوب لإتمام الليتورجيا المقدسة من قبل الكنيسة بواسطة الرسل، الذين مع تعاليم الإنجيل أعطوا طريقة طقوس إتمام السر ومعطياته مع هذا السيناكس (الاجتماع).

هذا التقليد تشكَّل فى كل مكان بحسب التدبير الإلهى مع عناصر مكانية ومساهمة روحية لكل شعب المسيح بحسب إمكانياته ومعرفته السابقة. وهكذا عندما كُتب هذا التقليد فى القرن الرابع، أتت نصوص ليتورجيات مختلفة تحمل أسماء كُتاب من آباء الكنيسة، بما رُدَّت نصوصها وأقدميتها للآباء الرسل مؤسسى الكنائس، وبذلك بدأ التقليد الليتورجى لكل كنيسة محلية. [[21]](#footnote-21)

هذه النصوص الليتورجية فُحصت على مر العصور واقتبلت إضافات أو حذف منذ نشأتها وحتى اليوم، ولكن بالطبع بقيت أمينة فى التقليد الأول، وفى النواة التى تبلورت فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

ليتورجيات العالم المسيحى تتصنف –حسب أماكنها وعلى أساس جغرافى – إلى عائلات يُطلق عليها "النظم الليتورجية" ولكن هذه النظم تقوم على عناصر داخلية لهذه العائلات.

لدينا فى عبادة كنيستنا نفس الشئ فى نُظم متشابهة أو مختلفة لدى مناطق أخرى فى العالم المسيحى. نحن هنا نتحدث عن ثراء عبادى هائل.

النظم الليتورجية تنقسم إلى عائلتين كبيرتين هما:

1-النظام الليتورجى الشرقى (أ- العائلة المصرية، ب- العائلة السريانية الأنطاكية).

2-النظام الليتورجى الغربى.

تنتمى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى النظام الليتورجى الشرقى عائلة الليتورجية المصرية.

**الليتورجيات المبكرة:**

"وَبَيْنَمَا هُمْ **يَخْدِمُونَ(Λειτουργούντων)** الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: «أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ" (أع 13: 2).

الكلمة اليونانية المستخدمة فى هذه الآية هى **Λειτουργούντων** (اسم الفاعل للمضارع المبنى للمعلوم فى حالة المضاف إليه المذكر الجمع) وتعنى "من يكون خادماً عاماً، أى من يمارس وظيفة دينية". والاسم هو Leitourgi,a ويعنى "وظيفة عامة (ككاهن "ليتورجية").[[22]](#footnote-22) وهذا دليل على وجود خدمات ليتورجية منذ أيام الآباء الرسل.

**فيما يلى بعض مقتبسات لفقرات من بعض النصوص الليتورجية التى كانت تستخدم فى الكنيسة الأولى:**

**تذكر الديداكية (80-140م) ما يلى:**

"بخصوص سر الشكر (الإفخارستيا)، هكذا تقدم الشكر. أولاً فيما يتعلق بالكأس: نشكرك، يا أبانا، على الكرمة المقدسة التى لداود خادمك، والتى جعلتها معروفة لنا بواسطة يسوع خادمك؛ لك المجد إلى الأبد. وفيما يتعلق بالخبز المكسور: نشكرك، يا أبانا، على الحياة والمعرفة التى جعلتها معروفة لنا بواسطة يسوع خادمك؛ لك المجد إلى الأبد. كما أن هذا الخبز المكسور كان متناثراً فوق الجبال، وتم جمعه معاً ليصير واحداً، هكذا إجعل كنيستك تجتمع معاً من أقاصى الأرض إلى ملكوتك، لأن لك المجد والقوة بيسوع المسيح إلى الأبد." [[23]](#footnote-23)

"ولكن بعدما تمتلئون قدموا الشكر: نشكرك أيها الآب القدوس، على اسمك القدوس الذى جعلته يسكن فى قلوبنا، وعلى المعرفة والإيمان والخلود، التى جعلتها معروفة لنا بواسطة يسوع خادمك؛ لك المجد إلى الأبد. أنت السيد القادر على كل شئ، خلقت كل الأشياء من أجل إسمك؛ أنت أعطيت الطعام والشراب للبشر للتمتع حتى يقدموا لك الشكر؛ لكن لنا نحن أعطيت بتحرر طعاماً وشراباً وحياة أبدية بواسطة خادمك. قبل كل شئ نشكرك على قدرتك، لك المجد إلى الأبد. اذكر أيها الرب، كنيستك وانقلها من الشر لتجعلها كاملة فى محبتك، واجمعها من الأربع رياح، مقدسة لملكوتك الذى أعددته لها؛ لأن لك القدرة والمجد إلى الأبد. هب نعمتك، واجعل هذا العالم يرحل. أوصنا للرب (ابن) داود! إن كان أحد مقدساً فليقترب؛ ومن ليس كذلك فليتب. الرب قريب. أمين."[[24]](#footnote-24)

**يقول يوستين الشهيد (160م):**

"وفى يوم **الأحد**، كل الذين يعيشون فى المدن أو القرى يجتمعون معاً إلى مكان واحد، **وتُقرأ تذكارات الرسل أو كتابات الأنبياء**، حسبما يسمح الوقت، ثم، حينما ينتهى القارئ يُعلِّم الرئيس شفهياً وينصح بمحاكاة هذه الأمور الصالحة. ثم نقف معاً ونصلى، كما قلنا سابقاً، **وحينما تنتهى صلواتنا، ياتون بخبز وخمر، ويقدِّم الرئيس بطريقة مماثلة صلوات وتشكرات حسب مقدرته، والشعب يصدق قائلاً أمين. ثم توزع الإفخارستيا للكل، ويتناول الجميع من الخبز والخمر الذى تم الشكر عليه**." [[25]](#footnote-25)

**ويقول الشهيد كبريانوس (250م)**

"ثم أن الكاهن كمقدمة قبل صلواته، يُعِّد عقول الأخوة بقوله: "**ارفعوا قلوبكم**" ويرد الشعب "نرفعها لله". هو يفعل ذلك لكى يتذكر أنه هو نفسه لن يفكر فى غير الرب." [[26]](#footnote-26)

**قوانين الرسل (جُمعت 390م)**

"فى الوسط، إجعل القارئ يقف فى مكان مرتفع: وإجعله يقراً كتب موسى، ويشوع ابن نون، والقضاة، والملوك، وأخبار الأيام، وما كتب بعد السبى؛ وكذلك كتب كل من أيوب وسليمان والستة عشر نبياً. ولكن حينما تقرأ درسين كل على حده، إجعل شخصاً آخر **يرتل ترانيم داود**، واجعل الشعب يشترك فى ختام الآيات. بعد ذلك إجعل **الأعمال** التى لنا تقرأ، وكذلك **رسائل بولس** رفيقنا فى العمل، التى أرسلها للكنائس تحت قيادة الروح القدس؛ بعد ذلك اجعل الشماس أو القسيس يقرأ **الإنجيل**، الذى أرسله إليكم متى ويوحنا... ولوقا ومرقس. وبينما يقرأ الإنجيل، إجعل القسوس والشمامسة وكل الشعب يقف فى صمت تام.. بعد ذلك، إجعل القسوس واحداً فواحداً، وليس معاً، **يعظون** الشعب، ثم فى النهاية الأسقف بصفته القائد...

بعد ذلك، اجعل الجميع **يقفون** بتوافق، **متجهين نحو الشرق**، وبعد خروج الموعوظين والتائبين، صلى إلى الله تجاه الشرق.. إجعل الشماس الموجود عن يمين رئيس الكهنة يقول للشعب. لا يكن لأحد شجار مع آخر؛ لا يأتى أحد برياء**. ثم أجعل الرجال يعطون الرجال قبلة الرب وكذلك النساء للنساء**. لكن لا تدع أحداً يفعل ذلك بخداع، مثل يهوذا الذى خان الرب بقبلة. بعد ذلك إجعل الشماس **يصلى من أجل كل الكنيسة وكل العالم**، وأنحائه المختلفة، وثماره؛ وللكهنة والحكام، ولرئيس الكهنة والملك، ولسلام العالم. بعد ذلك **إجعل رئيس الكهنة يصلى من أجل أن يحل السلام على الشعب ويباركهم**، كما أمر موسى الكهنة أن يباركوا الشعب بالكلمات التالية: "يباركك الرب ويحفظك؛ وليشرق وجهه عليك ويعطيك سلام". واجعل الأسقف يصلى من أجل الشعب ويقول: "خلص يارب شعبك، وبارك ميراثك الذى اقتنيته بالدم الثمين الذى لمسيحك، ودعوت الكهنوت الملوكى والأمة المقدسة". يتبع ذلك تقديم الذبيحة، يقف الشعب ويصلون فى سراً؛ وحينما يعمل القربان، **إجعل كل رتبة على حده تتناول من جسد الرب ودمه الثمين بترتيب**، **ويتقدمون بوقار وخوف مقدس**، كما لجسد ملكهم. اجعل النساء يتقدمن ورؤوسهن مغطاه، كما يكون ترتيب المرأة؛ **واجعل الباب محروساً لئلا يدخل شخص غير مؤمن أو من لم يدخل فى العضوية.**" [[27]](#footnote-27)

**بعض أشكال لليتورجيات مبكرة نجدها فى مجلدات آباء ما قبل نيقية: [[28]](#footnote-28)**

1-قانون يعقوب الرسول القديس وأخا الرب (صفحة 486-491).

2-القداس الإلهى ليعقوب الرسول القديس أخا الرب (صفحة 537-550).

3-القداس الإلهى للرسول القديس ومرقس الإنجيلى (صفحة 551-560).

4-قداس الرسل المباركين (صفحة 561-568).

**خبز مختمر وخمر ممزوجة بماء:**

فى كنيستنا، نحن نستخدم للإفخارستيا خبزاً مختمراً، حيث أن المسيح على الصليب حمل خطايانا (خمير). يُعمل القربان من ثلاث مكونات: دقيق قمح نقى (يشير إلى نقاوة المسيح)، وماء نقى، وخمير. فى تقليدنا أن الرب استخدم خبزاً مختمراً وخمراً ممزوجة بماء حينما قدَّم الأسرار لتلاميذه. وكان ذلك مساء يوم الخميس قبل الغروب وبالتالى كان الخمير لم يرفع بعد.

كذلك، فإن الخمر المستخدمة هى عصير عنب مختمر بدون كحل. وكانت عادة اليهود أن يمزجوا الخمر بماء فى وجبة الفصح.

**كتب القديس كبريانوس:**

"الكأس يجب أن تمزج من خليط خمر وماء، لأن الكأس التى قدمها الرب كانت ممزوجة وهذا الخمر دعاه دمه."[[29]](#footnote-29)

نحن نختم القربان بخاتم ليتورجى خاص لأن ربنا يسوع المسيح قال: "اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ لأَنَّ **هَذَا اللَّهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ**" (يو 6: 27). وعلى الختم تكتب الثلاث تقديسات باللغة القبطية، وفى الوسط صليب كبير، وإثنى عشر صليباً صغيراً حوله، ثم تضاف خمس ثقوب ترمز إلى الخمس جراح الأساسية فى جسد المسيح على الصليب (إثنان لليدان، واحد للقدمان، واحد لمكان الحربة فى جنبه، وواحد لإكليل الشوك).

والخبز المتسخدم فى القداس الإلهى يجب أن يكون طازجاً حينما يقدَّم على المذبح. يخبز عدد من القرابين ثم يختار الكاهن أفضلها لتكون الحمل الذى يتم تقديسه. يتم توزيعها كلها ولا يترك منها شئ. بالإضافة إلى ذلك فإن كل القرابين الباقية توزع على الشعب بعد نهاية القداس.

لا يتم تقديس أكثر من قربانة واحدة أو أكثر من كأس واحد. ولا يحتفل بالإفخارستيا أكثر من مرة على نفس المذبح فى نفس اليوم، كما لا يقدر الكاهن أن يصلى أكثر من قداس فى اليوم الواحد.

**كتب القديس إغناطيوس:**

"احترسوا أن تكون لكم **إفخارستيا واحدة**. **لأن جسد الرب يسوع المسيح هو واحد**، وكأس واحدة لوحدة دمه." [[30]](#footnote-30)

فى كنيستنا لا يقدر أن يحمل الجسد المقدس أو يقوم بتوزيعه إلا الكاهن (أو من هو فى رتبة كهنوتية أعلى).

**يقول القديس كبريانوس:**

"طبعاً، **الكاهن فقط** هو الذى يمثل ما عمله المسيح [أى يستخدام خمر ممزوجة بماء]، وهو وحده الذى **يؤدى حقاً وظيفة المسيح**. هو وحده يقدم ذبيحة حقيقية وكاملة فى كنيسة الله الآب حينما يتقدم ليقدمها بالطريقة التى رأى أن المسيح نفسه قدم بها." [[31]](#footnote-31)

**القداس القبطى**

حالياً تستخدم الكنيسة القبطسة الأرثوذكسية ثلاث قداسات: القداس القبطى الباسيلى (القرن الرابع الميلادى) وهو الأكثر إستخداماً، وقداس القديس مرقس الرسول المعروف أيضاً بالقداس الكيرلسى، والقداس الغريغورى للقديس غيريغوريوس اللاهوتى. وللثلاث قداسات فكرة رئيسية مشتركة.

"القداس القبطى نمى من أصل الطقس اليونانى السكندرى، وتطورت خصائصه المحلية فى القرن الرابع، هذه العملية تمت أساساً فى الأديرة." [[32]](#footnote-32)

**بنية القداس القبطى[[33]](#footnote-33)**

خدمة الإفخارستيا عندنا يسبقها رفع بخور عشية، وتسبحة نصف الليل، ورفع بخور باكر، هذه تعتبر إستعدادات لكى نكون مستعدين جسدياً ونفسياً وروحيا للقداس الإلهى.

**قداس الموعوظين:**

يبداً بمباركة الملابس الكهنوتية يتبعها صلوات الأجبية ثم تقديم الحمل.

**تقديم الحمل:**

إختيار الحمل يمثل إتفاق المشورة الثالوثية الإلهية لاختيار أقنوم الابن للقيام بعمل الخلاص الكفارى... فى أثناء تقديم الحمل تكرر الكنيسة بحرارة الصلاة القصيرة القوية "كيريليصون" 41 مرة، حتى ينتهى الكاهن من إختيار الحمل. بعد اختيار الحمل يعمِّد الكاهن الحمل بقليل من الماء... يرفع الكاهن الحمل ملفوفاً بلفافة على رأسه أما الهيكل الرئيسى متجهاً للغرب وهو يقول: "مجداً وإكراماً إكراماً ومجداً للثالوث القدوس"... حتى تنتهى دورة الحمل.

يبدأ الكاهن بالثلاث رشومات ثم صلاة الشكر، ثم يغطى الحمل بلفافة نظيفة وكذلك الكأس. ثم يغطى المذبح بالبورسفرين. ويصلى الكاهن تحليل الخدام ثم يدخل إلى الهيكل ليبدأ دورة البخور. يخرج الكاهن بالمجمرة لتبخير الشعب ومباركته بينما يرتل الشعب بعض الألحان.

**القراءات:**

1. البولس: يكون من رسائل بولس الرسول

ب-الكاثوليكون: ويكون من رسائل يعقوب الرسول بطرس الرسول أو يوحنا الرسول أو يهوذا الرسول

ج- الإبركسيس: وهو فصل من سفر أعمال الرسل

د- السنكسار: من كتاب السنكسار للتعرف على جهاد قديس اليوم

هـ- إنجيل القداس: فصل من أحد الأناجيل الأربعة وبعده العظة

**الثلاث أواشى الكبار:**

أوشية السلام والآباء والاجتماعات. هذه الأواشى مملوءة بالطلبات القوية من أجل سلام الكنيسة، وسلام العالم أجمع، وحفظ آباء الكنيسة، ثم من أجل إجتماعات الكنيسة حتى تعقد بدون عوائق من أعداء الكنيسة أو من الشياطين إلخ.

**قداس المؤمنين:**

يبدأ قداس المؤمنين بقانون الإيمان الأرثوذكسى تتلوه الكنيسة كلها بصوت عال وباتفاق كما من فم واحد وبذلك نعلن إيماننا بالله الواحد المثلث الأقانيم، وبعمل الخلاص الذى تممه ابن الله الوحيد، وبعمل الروح القدس فى تقديسنا وتطهيرنا.

**صلاة الصلح:**

يذكر الكاهن فيها عمل المسيح العجيب نحو مصالحة الإنسان بخالقة.. كما يذكر قصة الخلاص الذى صنعه المسيح للإنسان عندما خلصه من الموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس، وملأ الأرض من السلام السمائى. عند الانتهاء من الجزء الأول ينادى الشماس الشعب قائلاً "صلوا من أجل السلام الكامل والمحبة والقبلة الطاهرة الرسولية". وفى الجزء الثانى من صلاة الصلح يطلب الكاهن من أجلن أن يملأ الله قلوب الشعب من سلامه الإلهى الذى يفوق كل عقل، حتى يحفظ قلوبنا وأفكارنا فى المسيح يسوع، ملك السلام... تسمى صلاة الصلح فى بعض الخولاجيات القديمة "صلاة التقبيل"، وذلك لأن فى نهايتها ينادى الشماس للشعب: "قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة" فيقبِّل الشعب بعضهم بعضاً. الرجال يقبلون الرجال والنساء يقبلن النساء.

بعد التقبيل ينشد الشعب: "بشفاعة والدة الإله القديسة مريم يارب انعم لنا بمغفرة خطايانا. نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القديس لأنك أتيت وخلصتنا. رحمة السلام ذبيحة التسبيح."

**الأنافورا:**

هى أكثر جزء فى القداس الإلهى هيبة، حيث يتم تقديس الخبز والخمر ليصيرا جسد المسيح ودمه.

**يقول القديس كبريانوس (250م):**

"الكاهن، كمقدمة قبل صلاته، يعِّد عقول الإخوة بقوله: "**ارفعوا قلوبكم**" ويرد الشعب "**نحن نرفعها نحو الله**". وهو يفعل ذلك ليتذكر هو نفسه ألا يفكر فى شئ آخر سوى الرب." [[34]](#footnote-34)

وهكذا تبدأ أنافورا الكنيسة القبطية. يقول الكاهن: "الرب مع جميعكم"، فيرد الشعب: "ومع روحك أيضاً"، ثم يقول "إرفعوا قلوبكم"، فيرد الشعب: "هى عند الرب". حينما يرى الكاهن ذلك يهتف شاكراً الرب حاثاً الشعب أن يشكره قائلاً "فلنشكر الرب"، فيرد الشعب "مستحق وعادل".

يصلى الكاهن قطعة تبدأ بقوله: "مستحق ومستوجب لأنك حقاً بالحقيقة مستحق وعادل". أى انك يا لله مستحق كل شكر وحمد وتمجيد وتسبيح لأنك أنت الخالق لكل شئ ما يرى وما لا يرى.. يقول الشماس: "ايها الجلوس قفوا". يقول الكاهن: "الذى يقف أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة والرئاسات والسلطات والكراسى والأرباب والقوات"، يقول الشماس "وإلى الشرق أنظروا"، يقول الكاهن: "أنت هو الذى يقف حولك الشاروبيم الممتلئون أعيناً والسيرافيم ذوو الستة الأجنحة يسبحون على الدوام يغير فتور قائلين.." فيرتل الشعب التسبحة الشاروبيمية التالية: "... قدوس قدوس قدس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس" (انظر إشعياء 6).

**الثلاث تقديسات:**

يأخذ الكاهن هذه التسبحة من أفواه الشعب ويرددها هو فى تناغم جميل ثلاث مرات وهو يرشم ذاته، ثم الخدام ثم نفسه والشمامسة وأخيراً الشعب بعلامة الصليب.. يتبع ذلك ذكر قصة الخليقة وسقوط الإنسان ومراحم الله بإرساله الإنبياء، وأخيراً تجسد ابن الله فى ملء الزمان ليخلصناً من خطايانا ويعطينا إمكانية القداسة مرة أخرى. لقد نزل إلى الجحيم ليحرر كل الذين ماتوا على رجاء مجيئ المخلص. ينشد الشعب "آمين". يكمل الكاهن: "وقام من الأموات فى اليوم الثالث..." ذاكراً حدث قيامة المسيح، ثم يتحدث عن مجيئه الثانى المؤكد المزمع أن يكمله عند نهاية الأزمنة، حيث يأتى الرب يسوع ليدين المسكونة بالعدل ويجازى كل واحد حسب أعماله. وإذ يذكِّر الكاهن شعبه بأمر المجئ الثانى والدينونة العامة يصرخ الشعب ويستغيث بالله قائلاً: "كرحمتك يارب ولا كخطايانا".

**التأسيس:**

يعتبر أكثر جزء فى القداس هيبة على الإطلاق لأنه يتضمن التأسيس، والتذكار (الأنامنسيس)، وحلول الروح القدس (الإبيكليسيس) لتحويل الخبز والخمر إلى جسد حقيقى ودم حقيقى للمسيح.

يشير الكاهن بيديه إلى الخبز والخمر يقول: "**ووضع لنا** هذا السر العظيم الذى للتقوى. لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم"، ويرد الشعب: "حقاً نؤمن". يأخذ الكاهن الخبز على يديه ويقول: "أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس.." إبتداء من هذه العبارة يعلمنا القداس الإلهى الطريقة التى اتبعها الرب لوضع هذا السر العظيم الذى للتقوى والذى للخلاص. يرد الشعب: "نؤمن أن هذا هو بالحقيقة أمين". يضع الكاهن يده اليمنى على الخبز الذى على يده اليسرى ويرفع نظره إلى فوق ويقول: "ونظر إلى فوق نحو السماء إليك يا الله أباه وسيد كل أحد، وشكر. وباركه. وقدسه." وفى كل مرة يرد الشعب: "أمين" ثم يقولون "نؤمن ونعترف ونمجد". يقسم الكاهن القربانة بحرص قائلاً: "وقسمه وأعطاه لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً خذوا كلوا منه كلكم لأن هذا هو جسدى الذى يقسم عنكم وعن كثيرين يعطى لمغفرة الخطايا **هذا إصنعوه لذكرى**".

ثم يضع الكاهن يده على حافة الكأس ويقول: "وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء، مزجها من خمر وماء وشكر. وباركها. وقدسها". وفى كل مرة يرد الشعب "أمين"، ثم "وأيضاً نؤمن ونعترف ونمجد". يمسك الكاهن فم الكأس بيده يقول: "وذاق وأعطاها أيضاً لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً: خذوا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك عنكم وعن كثيرين. يعطى لمغفرة الخطايا. هذا اصنعوه لذكرى."

يشير الكاهن بيديه إلى الأسرار وهو يقول: "لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى **وتذكروننى إلى أن أجئ**." ويجاوب الشعب بهذا النشيد الرائع "أمين أمين أمين. بموتك يارب نبشر. وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السماوات نعترف. نسبحك نباركك نشكرك يارب ونتضرع إليك يا إلهنا".

يقول الكاهن: "وفيما نحن **نصنع ذكر** ألامه المقدسة، وقيامته من الأموات، وصعوده إلى السموات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وظهوره الثانى الآتى من السماوات المخوف المملوء مجداً. نقرب لك قرابينك من الذى لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال." فيقول الشماس: "اسجدوا لله بخوف ورعدة". أثناء السجود يردد الشعب: "نسبحك نباركك نخدمك يارب ونسجد لك." هنا تحدث فترة صمت رهيبة. الكنيسة كلها ساجدة إلى الأرض منتظرة حلول الروح القدس. الكاهن ساجد أمام المذبح يستدعى الروح القدس سراً ليحل على الشعب ليقدسهم ويحل على الخبز والخمر ليحوله.

**استدعاء الروح القدس:**

يصلى الكاهن أوشية حلول الروح القدس سراً: "نسألك أيها الرب إلهنا نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين نسجد لك بمسرة صلاحك. **ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك**". يقول الشماس "ننصت أمين".

يقف الكاهن ويرشم القربانة ثلاث رشوم بسرعة وهو يقول: "وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له". وهنا يهتف الشعب: "أؤمن". يقف الكاهن ويرشم الكأس ثلاثة رشوم بسرعة وهو يصرخ: "وهذه الكأس أيضاً دم كريم للعهد الجديد الذى له." يهتف الشعب: "وأيضاً أؤمن". يقول الكاهن سراً: "ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه" عندئذ يقوم الشعب من السجود وهو يهتفون "أمين. يارب ارحم".

**الأواشى السبع:**

بعد أن أصبح جسد ودم عمانوئيل إلهنا حاضرين على المذبح يصلى الكاهن هذه الطلبة العميقة: "اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكى نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء".

ثم يبدأ فى السبع أواشى: أوشية السلامة، وأوشية الآباء، وأوشية القسوس، وأوشية الرحمة، وأوشية الموضع، وأوشية المياة أو الزرع أو الأهوية، وأوشية القرابين.

**مجمع القديسين:**

يقول الكاهن فى أوله: "لأن هذا يارب هو أمر إبنك الوحيد أن نشترك فى تذكار قديسيك. تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء. أباءنا الأطهار رؤساء الآباء، والأنبياء، والرسل، والمبشرين، والإنجيليين، والشهداء، والمعترفين، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا فى الإيمان. وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة. والقديس يوحنا السابق المعمدان والشهيد، والقديس إسطفانوس أول الشهداء، وناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول..."

وبعد ذكر أشهر أباء الكنيسة الأبرار والقديسين يختم الكاهن بهذه العبارة الإستشفاعية الرائعة: "وكل مصاف قديسيك. هؤلاء الذين بسؤالاتهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معاً وانقذنا من أجل اسمك القدوس الذى دعى علينا."

يقول الشماس: "القارئون فليقولوا أسماء أبائنا القديسين البطاركة الذين رقدوا. الرب ينيح نفوسهم أجمعين ويغفر لنا خطايانا." يرد الشعب "المجد لك يارب، يارب لك المجد، يارب ارحم. يارب باركنا. يارب نيحهم أمين."

**الترحيم:**

يتلو الكاهن هذا الترحيم سراً: "اذكر يارب كل الذين رقدوا وتنيحوا فى الكهنوت والذين فى طغمة العلمانيين. تفضل يارب نيح نفوسهم جميعاً..." ثم يضع يد بخور فى المجمرة وهو يذكر آخرين ممن رقدوا.

ثم يقول الكاهن: "أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم، نيحهم فى فردوس النعيم فى كورة الأحياء إلى الأبد فى أورشليم السمائية فى ذلك الموضع. ونحن أيضاً الغرباء فى هذا المكان (العالم) إحفظنا فى إيمانك وانعم علينا بسلامك إلى التمام." فيقول الشعب: "كما كان وهكذا يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور أمين."

يقول الكاهن: "واهدنا إلى ملكوتك. لكى بهذا كما أيضاً فى كل شئ يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم القدوس فى كل شئ. كريم ومبارك مع يسوع المسيح ابنك الحبيب والروح القدس."

هنا نلاحظ أن هذه أول مرة يقول فيها كاهن: "السلام لجميعكم" بدون عمل رشم. والسبب هو أنه بعد حلول الروح القدس على الأسرار وتحولها إلى جسد ودم إلهنا، لا يجوز للكاهن مطلقاً أن يرشم أيه رشومات بيده أو بالصليب فى حضرة الكاهن الأعظم الرب يسوع المسيح الموجود على المذبح. ونلاحظ أن عبارة "السلام للكل" تتكرر بعد ذلك عدة مرات وكلها تقال بدون رشم.

**صلاة القسمة:**

يصلى الكاهن مقدمة القسمة قائلاً: "وأيضاً فلنشكر الله ضابط الكل.. لأنه جعلنا أهلاً الآن أن نقف فى هذا الموضع المقدس ونرفع أيدينا إلى فوق ونخدم اسمه القدوس. هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين لشركة وإصعاد أسراره الإلهية غير المائتة."

يأخذ الكاهن الجسد المقدس بيديه وهو يقول: "الجسد المقدس"، فيسجد الشعب ويصرخون: "نسجد لجسدك المقدس". ثم يغمس الكاهن أصبعه فى الدم الكريم وهو يقول: "والدم الكريم"، يكرر الشعب السجود وهم يصرخون "ولدمك الكريم." يقول الكاهن: "الذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا." يقول الشماس: "أمين امين صلوا"، فيقول الشعب: "يارب ارحم".

القسمة هى إبتهال إلى الله الذى سُرّ بتقديس القرابين وطهرها بروحه القدوس، أن يقدس ويطهر نفوس عبيده وأرواحهم وأجسادهم ليكونوا أهلاً لأن يشتركوا فى جسد المسيح ودمه الأقدسين، ولكى يقفوا أمامه بدالة كالأبناء أمام أبيهم المحب هاتفين بقلب طاهر ومحبة كاملة قائلين: "أبانا الذى فى السموات..."

صلوات القسمة كثيرة ومتنوعة، منها السنوية، ومنها الخاصة بالأصوام والأعياد السيدية، وأعياد العذراء والملائكة والقديسين وغيرها.

فى تقسيم الجسد معنى الآلام التى وقعت على السيد المسيح له المجد، والفواصل التى يعملها الكاهن فى الجسد الطاهر تسمى الجروح، ومن أجل تأكيد هذه المعانى يضع الكاهن الثلث على الثلثين بحيث يتكون شكل صليب، ثم يقسم الجسد الطاهر أيضاً على شكل صليب.

تنقسم صلاة القسمة إلى فقرات. وعندما ينهى الكاهن كل فقرة بالطريقة المعروفة يهتف الشعب كله بحماس وروحانية قائلين "كيرياليصون كيرياليصون يارب أرحم".

فى نهاية صلاة القسمة تصلى كل الكنيسة الصلاة الربانية فى صوت واحد.

**صلاة الخضوع والتحاليل:**

بعد الانتهاء من الصلاة الربانية يبدأ الكاهن فى تلاوة ثلاث صلوات سرية، ويدعو الشماس الشعب للتوبة قائلاً: "احنوا رؤسكم للرب"، فيحنى كل الشعب رؤسهم أمام الرب لأنها لحظة توبة واعتراف حتى يؤهلوا لقبول صلاة التحليل من فم الكاهن. يقول الشعب: "أمامك يارب خاضعين وساجدين". فيقول الشماس: "ننصت بخوف الله". يصلى الكاهن صلاة التحليل، ويطلب من الله أن يقبل توبة عبيده الخاضعين أمامه بتذلل المعترفين بخطاياهم بإنسحاق، وأن يجعلهم محاللين من خطاياهم وأثامهمن وجحودهم قبل تقدمهم للتناول من الأسرار الإلهية. وأن يكتب أسماءهم مع كل صفوف قديسيه فى ملكوت السموات. يذكر الكاهن الذين إلتمسوا منه أن يذكرهم، والمرضى، والمنتقلين، والمظلومين، والمتضايقين إلخ. وأخيراً يذكر نفسه. ثم يقول الكاهن أوشية السلامة والآباء والاجتماعات.

يأخذ الكاهن الإسباديكون بطرف اصابع يده اليمنى، ويرفعه إلى فوق وهو مطاطئ الرأس ويقول: "القدسات للقديسين" بعد ذلك يرشم به الدم داخل الكأس، ثم يغمسه فى الدم ويرفعه بحرص ويرشم به الجسد الطاهر الموجود فى الصينية، كل ذلك وهو يقول: "مبارك الرب يسوع المسيح ابن الله وقدوس الروح القدس أمين". فيرد الشعب: "واحد هو الآب الكلى القداسة، واحد هو الابن الكلى القداسة، واحد هو الروح الكلى القداسة أمين". يعطى الكاهن السلام للشعب، ثم يعيد رسم الجسد بالإسباديكون المغموس بالدم وهو يقول: "جسد مقدس ودم كريم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا أمين"، يقول الشعب: "أمين". يرشم الكاهن الجسد بالإسباديكون مرة ثالثة وهو يقول "مقدس وكريم جسد ودم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا أمين"، ويرد الشعب: "أمين". يقلب الكاهن الإسباديكون ويحمله بين أصابعه مقلوباً، ويرفعه إلى الكأس، ويرشم به الدم ثم يضعه فى الدم مقلوباً وهو يقول: "جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة أمين". فيجاوبه الشعب قائلاً: "حقاً أؤمن".

**الاعتراف:**

يقول الكاهن: "أمين أمين أمين. أؤمن أؤمن أؤمن. واعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحى الذى أخذه ابنك الوحيد الجنس ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديس مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير. واعترف الاعتراف الحسن أمام بنتيوس بيلاطس. وأسلمه على خشبة الصليب المقدسة بإرادته وحده عنا كلنا. بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين. يعطى عنا خلاصاً، وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه. أؤمن أؤمن أؤمن أن هذا هو بالحقيقة أمين". يرد الشماس: "أمين أمين أمين أؤمن أؤمن أؤمن أنا هذا هو بالحقيقة أمين...

يقول الكاهن صلاة سرية ثم يبدأ بتوزع الأسرار الإلهية بينما يقوم الشعب من السجود ويرتلون: "المجد لك يارب يارب لك المجد" ثم يرنمون "هلليلويا سبحوا الله" (مزمور 150).

عندما يأتى الكاهن بالصنية مغطاه وفيها الجسد المقدس إلى المكان المخصص للتناول ويرشم بها على المتناولين يسجد الشعب قائلاً: "مبارك الآتى باسم الرب". ثم يوزع الكاهن الأسرار للمستعدين.

فى النهاية يسرح الكاهن الشعب برشهم بالماء.

**ملاحظات إضافية:**

1-يجب على من يريد التقدم للتناول من الأسرار الإلهية أن يكون صائماً (من الطعام والشراب والعلاقات الجنسية) قبل ميعاد التناول بتسع ساعات على الأقل. كما جاء فى قوانين الرسل. وهذه التسع ساعات تمثل التسع ساعات التى تألم فيها الرب يسوع المسيح يوم الجمعة الكبيرة. فى حالة القداسات المتأخرة يكون الاحتراس من منتصف الليلة السابقة.

2-بعد التناول من الجسد المقدس نضع لفافة على فمنا كمن يخبئ جوهرة ثمينة لا تقدر بثمن واستمر هكذا حتى تبلغ الجوهرة بعد مضغها جيداً. بعد الشرب من الدم يجب شرب قليل من الماء لتصريف المناولة.

3-بعد التناول من الأسرار المقدسة لا يجوز عمل المطانيات والسجود وذلك لأننا نكون قد اخذنا المسيح تواص ونكون فى حالة فرح.

4-يتحاشى الشعب بعد التناول البصق، أو غسل الأسنان، أو إخراج بذور أو أى شئ خارج الفم، أو التدخين إلخ.

1. مصادر وتاريخ ليتورجيات كنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية الجزء الأول، إعداد الشماس الدكتور رشدى واصف بهمان دوس، المركز الثقافى القبطى الأرثوذكسى، 2010، صفحة 27. [↑](#footnote-ref-1)
2. Kunzler, Michael (2001). *The Church's Liturgy*. London: Continuum. p. 61. [↑](#footnote-ref-2)
3. *Catholic Encyclopedia*, Retrieved 2007-02-18 [↑](#footnote-ref-3)
4. John A. McGuckin, *The Westminster handbook to Patristic Theology*, Westminster john Knox Press, Luisville, London, 2004, p. 119. [↑](#footnote-ref-4)
5. Ante Nicene Fathers, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1979, Vol. I, p. 574. [↑](#footnote-ref-5)
6. *The Oxford Companion to Christian Thought*, Oxford University press, 2000, p. 714. [↑](#footnote-ref-6)
7. Ibid., p. 528. [↑](#footnote-ref-7)
8. Ibid., p. 486. [↑](#footnote-ref-8)
9. Pusey*, The Commentary on the Gospel of St John by St Cyril of Alexandria*, Oriental Orthodox Library, 2006, Vol. IV, P. 383, 384.

   شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير، الملجلد الأول، مؤسسة القديس أنطونيوس 2009، صفحة 413، 414. [↑](#footnote-ref-9)
10. Ante Nicene Fathers, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1979, Vol. VII , p. 380. [↑](#footnote-ref-10)
11. Ibid., vol VII, p. 381. [↑](#footnote-ref-11)
12. Ibid., Vol. I, p. 77. [↑](#footnote-ref-12)
13. Ibid., p. 185. [↑](#footnote-ref-13)
14. Ibid., p. 234. [↑](#footnote-ref-14)
15. Ibid., p. 574. [↑](#footnote-ref-15)
16. Ibid., Vol. V, p. 452. [↑](#footnote-ref-16)
17. Ibid., p. 359. [↑](#footnote-ref-17)
18. Ibid., p. 554. [↑](#footnote-ref-18)
19. Ibid., p. 444. [↑](#footnote-ref-19)
20. مصادر وتاريخ ليتورجيات كنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية الجزء الأول، إعداد الشماس الدكتور رشدى واصف بهمان دوس، المركز الثقافى القبطى الأرثوذكسى، 2010، صفحة 25-32. [↑](#footnote-ref-20)
21. I) M) fontoulh, leitourgikh A,, eisagwgw sth qeia latereia( sel. 183(184) [↑](#footnote-ref-21)
22. *The New Strong Complete Dictionary of Bible Words*, Nelson Publishers, 1996, p. 652. [↑](#footnote-ref-22)
23. *Ante Nicene Fathers*, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1979, vol. VII, p. 379, 380. [↑](#footnote-ref-23)
24. Ibid., p. 380. [↑](#footnote-ref-24)
25. Ibid. Vol. I, p. 186. [↑](#footnote-ref-25)
26. Ibid., Vol. V, p. 455. [↑](#footnote-ref-26)
27. Ibid. Vol. VII, p. 421, 422. [↑](#footnote-ref-27)
28. Ibid., Vol. VII, pp. 486-491, 537-568. [↑](#footnote-ref-28)
29. Ante Nicene, Vol. V, p.359. [↑](#footnote-ref-29)
30. Ante Nicene, Vol I, p. 81. [↑](#footnote-ref-30)
31. Ante Nicene, Vol V, p. 362. [↑](#footnote-ref-31)
32. Ronald Roberson, *The Eastern Christian Churches, a Brief Survey*, Orientalia Christians, 1999, p. 29. [↑](#footnote-ref-32)
33. Cf. H.G. Bishop Mettaous, *How to Benefit from the Holy Liturgy*, The Bishopric of Your Library, 2007.

    بتصرف عن كتاب "كيف نستقيد من القداس الإلهى"، لنيافة الأنبا متاؤوس، كنيسة الملاك بالظاهر، 1978. [↑](#footnote-ref-33)
34. Ibid., Vol. V, p. 455. [↑](#footnote-ref-34)